

علوم اللغة العربية ومخطوطاتها في أوزبكستان

د. محمد البخاري ❖

مليكة أنور صيروفا

من المعروف للجميع أنه مع انتشار الدين الإسلامي فيما وراء النهر، الذي حمله معهم الفاتحون العرب في القرن السابع الميلادي، انتشرت اللغة العربية لغة القران الكريم في تلك الأصقاع من الأرض حتى غدت لغة العلم والتعليم والتجارة والدواوين. ولم يتأثر موقعها الهام هذا رغم تبدل الأسر الحاكمة، والدول التي أقامتها تلك الأسر على أرض ما وراء النهر، إلى أن جاء الاحتلال والضم والاستيطان الروسي خلال الجزء الأخير من القرن

(١) الأستاذ الدكتور محمد البخاري: مستشار رئيس جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية، عضو هيئة التدريس بقسم العلاقات الدولية والعلوم السياسية والقانون/ كلية العلاقات الدولية والاقتصادية.

(٢) مليكة أنور ناصيروفا: عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية/كلية الآداب بجامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية.

المسلمين حكام المنطقة حينها ، وانشغال العالم الإسلامي بأسره بالدفاع عن ذاته أمام الهجمات المتعاظمة لقوى الاستعمار الأوروبي الذي أحاط به وأخذ بالتشبث في بعض أرجائه المختلفة.

وحمل الاحتلال الروسي معه لتركستان ثقافة غريبة، ولغة غريبة، ومفاهيم غريبة عن أبناء المنطقة التي حملت بعد استقرار الاحتلال اسم تركستان الروسية. وازدادت وطأة الاحتلال بعد استيلاء البلاشفة على السلطة في روسيا وإقامتهم للسلطة السوفييتية التي قسمت تركستان الروسية خلال العشرينات من القرن العشرين إلى الجمهوريات المعروفة الخمس التي نعرفها اليوم وهي: أوزبكستان، وقازاقستان، وتركمانستان، وقرغيزستان الناطقة باللهجات التركية، وطاجكستان الناطقة بواحدة من اللهجات الفارسية، والتي حولت فيما بعد تحت الرعاية السوفييتية إلى لغات مستقلة تكتب بالحرف الروسي (الكيريلي). وقامت السلطات البلشفية آنذاك بإغلاق المساجد، ومصادرة وإتلاف كل ما كتب باللغة العربية أو حتى بالحرف العربي ومعاقبة كل من يعثر بحوزته على مثل تلك الكتب، بعد أن عمدت إلى إلغاء استعمال الحرف العربي واستبداله بالحرف اللاتيني أولاً، ومن ثم بالحرف الروسي (الكيريلي). ورافق تلك الحملة إغلاق المدارس الإسلامية ومنع تعليم وتداول اللغة العربية في تلك الجمهوريات تماماً(٣).

وعلى الرغم من تبدل الظروف تحت وطأة الحرب العالمية الثانية واضطرار السلطات السوفييتية للتخفيف من ضغوطها، وفتح متنفس ضعيف للمسلمين وأبناء الديانات الأخرى في تركستان الروسية وسماحها بتأسيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان السوفييتية، والتي أعادت افتتاح مدرسة مير عرب الإسلامية في بخارى، وافتتحت معهد الإمام البخاري في طشقند، والسماح بتعليم اللغة العربية في عدد محدود من المدارس الرسمية في أوزبكستان (كان عدد تلك المدارس لا يتجاوز العشرة قبل الاستقلال)، وتأسيس كلية اللغات الشرقية في جامعة طقشند الحكومية، إلا أن

(٣) أنظر : د . محمد البخاري: عرب آسيا المركزية: آثار وملامح. دمشق : المعرفة، العدد ٤٤٥، تشرين أول / أكتوبر ٢٠٠٠. ص ١٨٤ - ٢٠٨.

- د . محمد البخاري، و د . تيمور مختاروف: تحقيق المخطوطات الإسلامية في أوزبكستان.. جهود متواصلة لحماية التراث . أبو ظبي: الأتحاد، ١١ و ١٢ / ٢٠٠.

الصورة لم تتبدل من حيث الجوهر، لأنه تم آنذاك فرض تعليم اللغة العربية من خلال كتب كتبها مؤلفون روس اعتمدوا في موادهم الدراسية على مبادئ وقواعد اللغة الروسية، فأصبح على الأوزبكي تعلم العربية من خلال لغة أجنبية أخرى (الروسية)[٤] وكانت كلها من حيث الأهداف تلبي احتياجات الحكومة المركزية في موسكو وخططها، من المترجمين بعد ازدياد الطلب عليهم مع توسع المشاريع السوفييتية في بعض الدول العربية، وخاصة الجزائر ومصر وسورية والعراق والشطر الجنوبي من اليمن مع بداية الستينات من القرن العشرين.

وتبدلت تلك الصورة بعد الاستقلال تماماً، وأصبحت دراسة اللغة العربية : كلغة أجنبية تدرس في المدارس الرسمية إلى جانب اللغات الأجنبية الأخرى[٥]. وأصبحت تدرس في الجامعات والمعاهد كلغة أجنبية وازداد الطلب عليها بعد تأسيس الجامعة الحكومية الإسلامية بمبادرة من رئيس الجمهورية إسلام كريموف في عام ١٩٩٩، التي يشترط للقبول فيها الإلمام باللغة العربية. وافتتاح عدد كبير من المدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة المتخصصة بتعليم اللغة العربية. وازداد الاهتمام بدراسة المخطوطات المحفوظة والمحتبسة خلال العهد السوفييتي في معهد أبي الريحان البيروني للاستشراق، الذي تبدلت أهدافه بعد الاستقلال من معهد يلبي حاجات الاستشراق الروسي الذي رمى إلى تعزيز وتكريس الاحتلال وتثبيت جذور السلطات الاستعمارية والتوسع بالاستيطان ونشر الثقافة الروسية في المنطقة بأسرها، لتصبح أهدافه وأهداف غيره من مؤسسات التعليم بمستوياتها المختلفة بعد الاستقلال دراسة وتحقيق ونشر تراث الأجداد العظام من علماء ما وراء النهر أمثال: الخوارزمي (٧٨٣ - ٨٥٠)، والفارابي (٩٧٣ - ١٠٤٨)، وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧)، والزمخشري (١٠٧٥ - ٤٣ / ١١٩٩) والوغ بيك (١٤٤٩ ١٤٩٤)، وغيرهم الكثيرون ممن تعدّ مؤلفاتهم جزءاً لا يتجزأ من

(٤) كان تعليم اللغة العربية خلال العهد السوفييتي يتم حتى مطلع الاستقلال من خلال كتب ألفها: فراندبه، وشاغال ، وشرباتوف، وكافالوف الروسي، وخاليدوف من تتار قازان (جمهورية تتارستان في الاتحاد الروسي حالياً)، وكلها تعتمد على اللغة الروسية وقواعدها كأساس لتعليم اللغة العربية، وبالتالي كانت الكتب المدرسية المحلية تعتمد عليها بالكثير من حيث المنطق والمادة والأسلوب والمنهاج والإخراج . وبسبب نقص الكتب المدرسية كثيراً ما كان يعتمد على قصاصات من الصحف والمجلات السوفييتة المترجمة إلى اللغة العربية في التدريس.

(٥) بلغ عدد تلك المدارس في مدينة طشقند وحدها أكثر من ٤٥ مدرسة، تدرس فيها اللغة العربية :كلغة أجنبية من الصف الثاني الابتدائي.

التراث الإنساني العالمي وحضارته المتجددة، وتعريف الجيل الناشئ بها، وتقديمها للعالم بأسره.

وتقوم اليوم الكوادر العلمية الخبيرة والمتخصصة في مجال دراسات التراث الأدبي الإسلامي ومخطوطاته بمتابعة الأبحاث العلمية التي بدأت منذ دخول الكوادر الوطنية هذا المجال الهام في جمهورية أوزبكستان في الثلاثينات من القرن العشرين[٦]. ومن بين تلك المجالات، مجال دراسة الدور الهام الذي شغله الأجداد العظام في دراسة وتطوير وإعداد قواعد النحو والصرف العربية، وهم الذين أسهموا بقسطهم الوافر حتى بلغ النحو العربي الدرجات العليا التي وصل إليها اليوم، وخاصة منها ما لم يتناوله البحث والدراسة والتحقيق من قبل. خاصة وأنه كان لعلماء ما وراء النهر دور مهم في إعداد قواعد النحو والصرف للغة العربية التي نعرفها اليوم[٧].

ومن الكوادر العلمية الوطنية التي اهتمت بدراسة تلك المخطوطات في أوزبكستان على سبيل المثال لا الحصر: علي بيك رستاموف، وقازاق باي محمودوف، وزاهد جان إسلاموف، ومقصود حكيم جانوف، جان قارييف، وعبيد الله اواتوف، وباطير بيك حسانوف، وإيرغاش عماروف، ومن الباحثين الشباب سليمة رستاموفا، ومخلصة الدينوفا، ورايح بهاديروف، ويولدوز إسماعيلوفا، وبهرام عبد الخاليقوف وآخرون كثيرون[٨].

وفي هذه الدراسة سنحاول تقديم بعض

---

(٦) د . محمد البخاري، و د . تيمور مختاروف: تحقيق المخطوطات الإسلامية في أوزبكستان- جهود متواصلة لحماية التراث. أبو ظبي : الأتحاد، ١٢ / ٣ / ٢٠٠٠.

(٧) محمود الزمخشري : نوابغ الكلم . طشقند: كاملاك، ١٩٩٢. ص ٤ .(باللغة الأوزبكية).

(٨) علي بيك رستاموف: بروفيسور، عضو أكاديمية العلوم الأوزبكستانية له كتاب عن محمود الزمخشري صدر في طشقند عام ١٩٧١، وعدة مقالات منشورة.

- قازاق باي محمودوف: بروفيسور، له عده دراسات منشورة عن مخطوطات اللغة العربية.
- زاهد جان إسلاموف: بروفيسور، يعمل على تحقيق «مقدمة الأدب» للزمخشري وله أكثر ٢٠ دراسة ومقالة منشورة.
- مقصود حكيم جانوف: له عدة دراسات ومقالات منشورة عن «مقدمة الأدب» للزمخشري.
- أتكور جان قارييف: له عدة دراسات ومقالات منشورة عن «الفائق في غريب الحديث» و «أساس البلاغة» للزمخشري.
- عبيد الله أواتوف: ترجم كتاب «نوابغ الكلم» للزمخشري إلى اللغة الأوزبكية، وله العديد من الدراسات والمقالات المنشورة.
- باطير بيك حسانوف: بروفسور، حقق «تاج اللغة» و «صحاح العربية» للجوهري.
- إير غاش عماروف: بروفيسور، له عدة دراسات ومقالات منشورة عن «ديوان الترك» لمحمود الكاشغري.
- سليمة رستاموفا: لها عدة دراسات ومقالات منشورة عن «ديوان الترك» لمحمود الكاشغري .
- مخلصة ضياء الدينوفا: لها عدة دراسات ومقالات منشورة عن «مفتاح العلوم» للخوارزمي.
- رايح بهاديريروفف : له عدة دراسات ومقالات منشورة عن مفتاح العلوم» للخوارزمي.

من علماء اللغة العربية الذين ولدوا وعاشوا في منطقة ما وراء النهر خلال القرون الوسطى، من خلال نتائج بعض الدراسات الجارية عنهم في أوزبكستان. خاصة وأنه من المعروف أن اللغة العربية في آسيا المركزية خلال القرون الوسطى كانت لغة العلم والفن والأدب لوقت طويل كما سبق وأشرنا[٩]. وأثبتت الدراسات أن علماء ما وراء النهر (آسيا المركزية اليوم) قد أتقنوا اللغة العربية وشاركوا من خلال أعمالهم بتحليل اللغة العربية وقواعدها وآدابها. وتطور إلى جانب الأدب المكتوب باللغة العربية في المنطقة الأدب المكتوب بالحرف العربي باللغة المحلية (التركية القديمة[١٠]). وهو ما يثبته وجود الكثير من رسائل النحو العربي، والمعاجم، والشروح لمؤلفات نثرية وشعرية ظهرت خلال الحقبة قبل الغزو المغولي لما وراء النهر[١١]. وتشير إلى إقبال سكان ما وراء النهر، وخوارزم على اعتناق الدين الإسلامي الذي حمله معهم الفاتحون العرب بشغف كبير، ونشطهم أيما نشاط في تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة والحديث الشريف، وهما مصادر الشريعة ومنبعها، فلما كانت النهضة العلمية والأدبية في ما وراء النهر وخراسان خلال العصر العباسي ازدادوا سعيًا في ميادين العلم والثقافة والأدب العربي.

وقد اشتهر في الشرق الإسلامي علماء كثيرون منهم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (١٠٧٥ - ١١٤٣) الذي أدّى قسطه الوافر لتطوير علوم نحو وصرف اللغة العربية في صدر القرون الوسطى. وهو أشهر من نار على علم، ولا يحتاج لتقديم أو تعريف. ومع ذلك ولضرورة البحث نقول إنه نشأ في زمخشر (ولاية خوارزم في أوزبكستان اليوم)، ودرس ودرّس فيها، ثم سافر إلى بخارى الشريف طالبًا وهو في مطلع الشباب. وتعرض خلال سفره لحادث أدى لقطع رجله[١٢]. ليعيش ما تبقى من حياته عاجزًا برجل واحدةً. وعلى الرغم من ذلك قضى حياته في السفر والتنقل طلبًا للعلم، فسافر إلى خراسان وبلاد الشام والعراق والحجاز.

---

(٩) عبد القادر زاهيدي: الثقافة العربية والإسلامية في القرون الوسطى بتركستان. طشقند:١٩٩٢. (باللغة الأوزبكية).

(١٠) أنظر مخطوطات :أحمد يوعيناكي (حوالي عام ٧٥٠ هـ): هيبة الحقائق، يوسف خاص حاجب (حوالي عام ١٠١٧ م): قوتاد غوبيليك، محمود الكاشغري (القرن ١١ هـ): ديوان لغة الترك، أحمد يسوي (١٠٤١ - ١١٦٧): حكمتلار. في مكتبة المخطوطات بمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكستانية.

(١١) عبد القادر زاهيدي: الثقافة العربية والإسلامية في القرون الوسطى بتركستان. طشقند: ١٩٩٣. (باللغة الأوزبكية)

(١٢) نفس المصدر السابق.



وعاش أكثر من خمس سنوات في مكة المكرمة، حيث درس فيها العلوم الدينية والنحو والصرف والفقه والكلام وعلم اللغة والعروض والأدب والمنطق وتفسير القرآن، وأبدع فيهم.

وألف الزمخشري خلال حياته أكثر من خمسين عملاً كتبها نثرًا ونظمًا[١٣]. والف كتابه «المفصل في صنعة الإعراب» خلال سنة ونصف (٥١٣ هـ/ ١١١٩ م - ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م) وهو في مكة المكرمة، وللزمخشري مختصر لهذا الكتاب معروف باسم «الأنموذج في النحو» يحوي على ٢٥ صفحة، تتضمن عرضًا شاملاً لقواعد اللغة العربية، ويستعمل حاليًا في تدريس اللغة العربية في أوزبكستان[١٤]. وهو الكتاب الذي يعدّه العلماء في أوزبكستان وفي العالم الإسلامي على ما نعتقد من أعظم ما كتب في أصول تعليم نحو وصرف اللغة العربية بعد كتاب سيبويه الشهير. وذاع صيت هذا الكتاب منذ اكتماله بين العرب والعجم على السواء حتى أصبح كتابًا أساسيًا يعتمد عليه في تعليم اللغة العربية. ويروى أن حاكم بلاد الشام مظفر الدين موسى جعل مكافأة قدرها خمسة آلاف قطعة فضية لمن يحفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب من البداية وحتى النهاية[١٥].

وخلال حياته في مكة المكرمة أيضًا ألف الزمخشري كتابه الشهير «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» وتناول فيه نواح في تفسير القرآن الكريم خلال ثلاث سنوات (١١٣٢ - ١١٣٤) كان خلالها يدرس تراث العلماء المتقدمين وأصبح هذا الكتاب فيما بعد درة من الدرر الثمينة في خزائن الأدب الإسلامي العربي. ويتميز كتاب الزمخشري هذا في أنه لفت الأنظار ولأول مرة إلى النواحي اللغوية في التفسير وركز على تحليل الأسلوب لفهم المعنى. والنسخة الأصلية من «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» التي كتبها الزمخشري بخط يده عام ٥٢٨ هـ/ ١١٣٤م) محفوظة اليوم في العاصمة الإيرانية طهران[١٦].

(١٣) انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي. ج ٥. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣. ٢٩٢ صفحة.
- علي بيك رستاموف: محمود الزمخشري. طشقند: ١٩٧١. (باللغة الروسية).
- أبو القاسم محمود الزمخشريك نوابغ الكلم. طقشند: كمالاك، ١٩٩٢. (باللغة الزوزبكية).
- أحمد محمد الحوفي: الزمخشري. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٦. ص ٥٨ - ٦٣.
(١٤) يحتفظ معهد أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكستانية بسبع نسخ مخطوطة منه تحمل الأرقام التالية: ٧١٥١، ٨١٠٧، ٨٥٨٩، ٨٦٤٢، ١٢٨٥٨، ١٢٨٨٨.
(١٥) أبو القاسم محمود الزمخشري: نوابغ الكلم. طشقند: كامالاك. ١٩٩٢. ص ٢٥ (باللغة الأوزبكية)
(١٦) نفس المصدر السابق. ص ٤٥.
- وفي مخطوطة «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» بخط أحمد ابن محمود بن أحمد جمشيد شاشي عام ١٣٥٨ وفي مخطوطات أخرى محفوظة في الإدارة الدينية في طشقند

وكان محمود الزمخشري صديقًا مخلصًا ومحبًا بارًا لأهل مكة، ولا سيما أميرها أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس الشريف الحسني. وقد كان الأمير ابن وهاس عالمًا بارزًا وشاعرًا نهل من إبداعه الزمخشري. وكان ابن وهاس شاهداً على سعة الآفاق العلمية والإطلاع عند الزمخشري الذي قال عنه ابن وهاس بإعجاب(١٧).

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي
تبوأها دارا فداء زمخشرا
وأحرى بأن تزهى زمخشر بامرئ
إذ عد وأسد الشرى زمخ الشرا

ولما جاور الزمخشري الكعبة المشرفة بمكة المكرمة أكثر من خمس سنوات، لقب نفسه «بجار الله» وصار هذا اللقب علما عليه. واستمرت علاقاته الودية بأهل مكة وأميرها حتى نهاية حياته.

لقد عدَّ محمود الزمخشري اللغة العربية، اللغة الأولى بين لغات العالم الأخرى آنذاك لأنها لغة القرآن والحديث الشريف (١٨) ولهذا حرص على أن تكون مؤلفاته الفريدة والمفيدة والمهمة في النحو وعلوم اللغة، باللغة العربية. ومن بين تلك المؤلفات كتاب «مقدمة الأدب» الذي انتهى من تأليفه عام ١١٣٩، و «المفصل» و «أساس البلاغة»(١٩). بالإضافة لـ «نوابغ الكلم» و«أطواق الذهب» اللذين يعدان بحق عقدين من الذهب الخالص في خزائن الأدب المكتوب في القرون الوسطى. وتدل مؤلفاته من خلال موضوعاتها المختلفة على سعة الاطلاع والعلم الراسخ المتين، وهو السبب الذي كان وراء الشهرة الواسعة التي تمتع بها الزمخشري في أوساط كل من نطق العربية أو تعلمها في العالم بأسره، وخاصة في العالم الإسلامي حيث أطلقت عليه الألقاب كـ« فخر خوارزم» و «أستاذ الدنيا» و« أستاذ العرب والعجم»، أما هو فقد قال عن نفسه« إني في خوارزم كعبة الأدب»(٢٠). وبعد عودة الزمخشري من مكة، استقر لسنوات في خوارزم وانتقل إلى بارئه تعالى ليلة عرفة من عام ٥٣٨ هـ، ١١٤٤ م . ويذكر الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة في كتابه

---

(١٧) أتكور قاربيف قاموس للمحادثة . طشقند: منارة الشرق، ١٩٩٦. ص ٦ . (باللغتين العربية والأوزبكية)
(١٨) أبو القاسم محمود الزمخشري: نوابغ الكلم. طشقند: كامالاك. ١٩٩٢. ص ١٢. (باللغة الأوزبكية)
(١٩) أنظر: «مقدمة الأدب «قاموس مخطوط باللغات: العربية والفارسية والتركية والمغولية، محفوظ تحت رقم ٣٠٢ في مكتبة أكاديمية العلوم الأوزبكستانية، وهو نسخة وحيدة في العالم. وهناك نسخة كاملة أخرى باللغتين العربية والفارسية محفوظة تحت رقم ٤٢٩. ومخطوطة «أساس البلاغة» المحفوظة تحت رقم ٥٢٢٤.
(٢٠) أبو القاسم محمود الزمخشري: نوابغ الكلم. طشقند: كامالاك، ١٩٩٢. (باللغة الأوزبكية)

«الرحلة» أنه زار في سنة ١٣٣٢ م أي في أوائل القرن الثامن الهجري وأنه: «بخارج خوارزم قبر الإمام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة»(٢١).

وقد تناول كثير من العلماء المسلمين مؤلفات الزمخشري أو أشاروا إليها في مؤلفاتهم خلال القرون التي تلت وفاته، ومن هؤلاء ابن النديم في الفهرست، وأبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ هـ، ٩٦١ م - ٤٢٩ هـ، ١٠٣٩ م) في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، وياقوت الحموي (٤٢٦ - ٥٧٥ هـ، ١٢٢٩م) في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، وابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (٦٠٨ - ٦٨١ هـ، ١٢١١ -، ١٢٨٨ م) في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وأبو سعد عبد الكريم محمد السمعاني (١١٧٩ - ١٢٢٩ م) في «كتاب الأنساب»، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي(١٤٤٥- ١٥٠٥م)في «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، وحاجي خليفة (١٦٠٩ - ١٦٩٧ م) في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» وزهر الدين البيحاقي في «تاريخ حكماء الإسلام»، وابن شهبة في «طبقات النحاة واللغويين» وغيرهم.

ومن بين علماء نحو اللغة العربية أيضًا أبو الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي الذي ولد بخوارزم في رجب سنة ٥٣٨ هـ الموافق ليناير/ كانون ثاني سنة ١١٤٣م وهي السنة التي توفي فيها الزمخشري. ولذلك قيل عنه: «خليفة الزمخشري، وقد اشتغل المطرزي إلى جانب اللغة العربية بالفقه على المذهب الحنفي والفكر المعتزلي. وفي عام ٦٠١ هـ، ١٢٠٤م أقام ببغداد لبعض الوقت، حيث تمتع بنفوذ واسع بين النحاة البغداديين. وتوفي في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦١٠ هـ الموافق لأكتوبر/ تشرين أول سنة ١٢١٣ م . ومن أهم مؤلفات المطرزي:

١ - كتاب المصباح في النحو.

٢ -كتاب المغرب في ترتيب المعرب، وهو معجم مرتب على حسب الحرف الأول، استقاه من كتابه المفقود« المعرب» الذي ألفه للفقهاء وفيه العلاقة بين النحو واللغة والفقه ويقدره الحنفية، تقدير الشافعية لكتاب «غريب الفقه» للأزهري.

٣ - الإقناع لما حوى تحت القناع (وهو كتاب في المترادفات ألفه لابنه).

٤ - رسالة في إعجاز القرآن.

٥ - شرح مقامات الحريري. ويدل هذا التنوع في مؤلفاته على موسوعيته وسعة ثقافته الرفيعة.

---

(٢١) د . أحمد محمد الحوفي: الزمخشري، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٦، ص ٤٧.

ومن بين علماء اللغة المسلمين من آسيا المركزية خلال الحقبة الممتدة مابين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، علماء أجلاء بارزين، ساهموا بوضع الأساس اللغوي للغة العربية تمكينًا لنهضة «الأمة الإسلامية»، ومن بين أولئك العلماء الكبار أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي النحوي الذي ألف معجم «تاج اللغة وصحاح العربية» ذلك المعجم المتميز حتى اليوم في تاريخ معاجم اللغة العربية.

وقد ولد الجوهري في فاراب (فاراب اليوم على بعد ٧٠ كم، شمال شرق طشقند عاصمة أوزبكستان) وكان لغويًا وأديبًا وشاعرًا وكاتبًا. تلقى تعليمه الأولي في فاراب. ثم سافر في طلب العلم إلى العراق ودرس هناك على أبي علي الفارسي (٩٠٠ - ٩٨٧ م) وأبي سعيد السيرافي (المتوفى في عام ٣٦٨ هـ، ٩٩١م)، وأتيحت له الفرصة للتعمق في تفاصيل اللغة العربية ونحوها، عندما سافر كثيرًا، وتنقل في الحجاز لدراسة لهجتي قبيلتي ربيعة ومضر. ورجع بعد ذلك إلى نيسابور حيث درس واشتغل بالتأليف حتى توفي فيها سنة ١٠٠٨ م. ومن أهم مؤلفات الجوهري أيضًا:

١ - كتاب العروض أو عروض الورقة.

٢ - كتاب المقدمة في النحو.

وقد قال الثعالبي عنه في كتابه «يتيمة الدهر»: هو من عجائب الدنيا... في علم اللغة العربية وله مكان بارز. وضربت الأمثال عن حسن خطه الذي شابه خط ابن مقلة والمهلهل ويزيد»[٢٢]. ويعد معجمه تاج اللغة وصحاح العربية) ثورة في علم اللغة العربية وهو من أمهات المعاجم العربية. وقسم الجوهري كتابه إلى أبواب رتبت حسب الحرف الأخير في جذر الكلمة ثم رتبت الكلمات داخل كل باب إلى فصول حسب الحرف الأول في جذر الكلمة أما الحرف الثاني في جذر الكلمة فيحدد موقعها داخل الفصل. مثلا: نريد أن نبحث عن كلمة «كتاب» (في الصحاح). أولاً نحدد الجذر :ك، ت ، ب. ونجد «باب الباء» ثم نحدد في هذا الباب موقع «فصل الكاف» وهناك سنجد كلمة «كتاب» في أول الفصل. وكان هذا بحدذاته ثورة في عالم صنع المعاجم آنذاك.

ويعد «الصحاح» والمعاجم الأخرى التي ألفت من بعده وبالأسلوب نفسه خزينة لكلمات القوافي بين الشعراء. ولهذا اشتهرت المعاجم ولقيت رواجًا عظيمًا، وتراجعت معها المعاجم السابقة التي ألفت طبقًا للترتيب الصوتي مثل« العين» للخليل

(٢٢) إسمة الله عبد الله: النظم في اللغة العربية في آسيا الوسطى وخراسان في القرون ١٠ - ١٢. طشقند: دار فن للنشر، ١٩٨٤، ص ٢٦٥. (باللغة الروسية).

بن أحمد الفراهيدي (٧١٨ - ٧٩١) و «البارع» لأبي علي القالي (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ، ٩٠١ - ٩٦٧م). و «المحيط» لابن عباد، وكتاب «الجمهرة في اللغة» لابن دريد (توفي عام ٣٢١ هـ، ٩٣٤م) وغيرهم.

وفضل الجوهري ومعجم «الصحاح» كبير على العلماء المتأخرين الذين بحثوا في علم اللغة وبدونه ما كان ليحقق علم اللغة التطور الذي بلغه حتى الآن. لأنه كان الأساس الذي أعتمد عليه في المعاجم التي ألفت من بعده. وقد صرف الجوهري أربعين سنة من عمره لتأليف «الصحاح»، الذي قال عنه إسماعيل النيسابوري[٢٣].

هذا كتاب الصحاح سيد ما

صنف قبل الصحاح في الأدب

يشمل أنواع ويجمع ما

فرق في غيره من الكتب

وجاء بعد الجوهري بحوالي قرنين من الزمن، لغوي ونحوي بارز من آسيا المركزية «ما وراء النهر» هو رضي الدين الحسن بن محمد بن الصغاني (١١٨١ - ١٢٥٢م) الذي تابع الطريق الذي بدأه الجوهري بمعاجم «العباب» و«مجمع البحرين» و «تكملة الصحاح».

ومن بينهم أيضًا السكاكي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن بكر بن محمد بن علي ولد سنة ٥٥٥ هـ ، ١١٦٩ في خوارزم. وتوفي في قرية الكندي في سنة ٦٢٦ هـ، ١٢٢٩ م وكان علامة في المعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، ومتكلم فقيه. ومن أشهر مؤلفاته «مفتاح العلوم»في ثلاثة أجزاء، خص الأول منه لعلم الصرف، والثاني النحو، والثالث لفرعي البلاغة: المعاني والبيان، وغيرها من العلوم وعدّ من أهم الأجزاء الثلاثة، وقد صنف مفتاح العلوم اثني عشر علمًا. ومن مولفات السكاكي الهامة الأخرى.

١ - الرسالة الولدية، وهي رسالة وجهها إلى محمد ساجقلي زاده، أحد تلامذته وفيها ضوابط علم المناظرة وقوانينها.

٢ - مصحف الزهرة، عن السحر والتنجيم والعرافة وغيرها.

والقائمة هذه يمكن أن تمتد كثيرًا، ولكننا سنكتفي بهذا القدر متمنين أن نكون قد تمكنا من التعريف بشيء يسير من الدور الذي يقوم به المستعربون في آسيا المركزية اليوم، للتحقيق والتعريف بتراث أجدادهم العظام من ما وراء النهر الذين أبدعوا خلال القرون الوسطى من أجل

(٢٣) باطير بيك حسانوف: الصحاح اتجاه جديد في علم اللغة العربية ومعاجمها. طشقند: مجموعة مقالات، جامعة طقشند الحكومية للدراسات الشرقية، ١٩٩٩. ص ٩٢.

نشر وتطوير علوم اللغة العربية ونحوها وأصولها وقواعدها.

ولا نبالغ إن قلنا أن لعلماء ما وراء النهر دوراًبارزاً وهاماً في تطوير علم اللغة الذي نشأ مع بداية القرن السابع الميلادي. وكان لهم الفضل في بلوغ علوم اللغة العربية أوجها. ونحن نفتخر بفضل أجدادنا العظام ونقدر عملهم الجليل وفضلهم في تطوير نحو اللغة العربية، وتطوير العلوم الإنسانية الأخرى، تلك المؤلفات الخالدة التي تركوها لنا من بعدهم نشبعها درساً وتمحيصاً ودراسة وتطويراً، خاصة وأنها هي جزء هام من الثقافة العربيةوالإسلامية والعالمية. وهو ما يدفعنا للقول ويحق أن اللغة العربية ليست ثروة وتراثاً قومياً للعرب وحدهم، بل هي ثروة لجميع الشعوب الإسلامية وللعالم أجمع. لأنها لغة القرآن الكريم والحديث المطهر والسنة الشريفة. وهي حافظة للتراث العلمي والأدبي والتاريخ المشترك للشعوب الإسلامية قاطبة وشاهد على الدور الذي شغله العلماء العرب والمسلمين في إثراء الحضارة الإنسانية في مختلف العلوم عندما كانت أوروبا والعالم الغربي في ثباتهما العميق. ومن هذا الفهم ينطلق حرص الدولة والأوساط العلمية في جمهورية أوزبكستان اليوم على تعلم وتعليم اللغة العربية وعلومها، التي من دونها لا يمكن الإطلاع على مضمون مخزون المخطوطات العلمية الثمينة التي كتبها جهابذة العلم في أوج ازدهار الدولة العربية الإسلامية في القرون الوسطى، وهي المؤلفات التي هي بحق «الدرة الثمينة» التي لا تقدر بثمن.

المراجع

١- أبو القاسم محمود الزمخشري. نوابغ الكلم.طشقند: كامالاك، ١٩٩٢. ٨٠ صفحة. (باللغة الأوزبكية).

٢- أحمد يوغيناكي: (٧٥٠) هيبة الحقائق. مخطوطة.

٣ - أحمد يسوي: حكماتلار. مخطوطة.

٤- أحمد الحوفي: الزمخشري. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٦. ٢٣١ صفحة.

٥ - أنكور قارييف. قاموس المحادثة. منارة الشرق ٢ - ١. طشقند. ١٩٩٦. (باللغتين العربية والأوزبكية)

٦- «أساس البلاغة» مخطوطة تحت رقم ٥٢٣٤ في مكتبة أبي ريحان البيروني.

٧ - إسمة الله عبد الله. النظم باللغة العربية في آسيا الوسطى وخراسان في القروX-XII. طشقند: دار فن للنشر ١٩٨٤. ص. ٢٦٥ (باللغة الروسية).

٨ - باطير بيك حسانوف: الصحاح إتجاه جديد في علم اللغة العربية ومعاجمها. طشقند: مجموعة مقالات، جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية، ١٩٩٩. (باللغة الأوزبكية)
٩ - عبد القادر زاهيدي : الثقافة العربية والإسلامية في القرون الوسطى بتركستان. طشقند: دار فن للنشر، ١٩٩٣. ١١٩ صفحة (باللغة الأوزبكية).
١٠- علي بيك رستاموف: محمود الزمخشري. طشقند: دار فن للنشر، ١٩٧١. (باللغة الأوزبكية)
١١- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي. ج٥، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤. ٢٩٣ صفحة.
١٢ -«الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» مخطوطة بخط أحمد بن محمود بن أحمد جمشيد شاشي عام ١٣٥٨ م.
١٣- «مقدمة الأدب» مخطوطة محفوظة تحت رقم ٢٠٢ في مكتبة أكاديمية العلوم الأوزبكستانية باللغات العربية والفارسية والتركية والمغولية. وهي نسخة وحيدة في العالم. وهناك نسخة أخرى كاملة باللغتين العربية والفارسية محفوظة تحت رقم ٤٢٩.
١٤- د . محمد البخاري: عرب آسيا المركزية: آثار وملامح. دمشق: المعرفة، العدد ٤٤٥، تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٠. ص ٨٤ - ٢٠٨.
١٥ . د . محمد البخاري؛ ود. تيمور مختاروف: تحقيق المخطوطات الإسلامية في أوزبكستان.. جهود متواصلة لحماية التراث. أبو ظبي: «الاتحاد» يومي ١١ و ١٢/ ٣/ ٢٠٠١.
١٦- محمود الزمخشري: نوابغ الكلم. طشقند: كاملاك، ١٩٩٢. ص ٤ (باللغة الأوزبكية)
١٧- محمود كاشغري (القرن الحادي عشر): ديوان لغة الترك، مخطوطة (طبع في استانبول سنة ١٣٣٥ هـ)
١٨- «المفضل في صنعة الإعراب» مخطوطة محفوظة في مكتبة أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكستانية تحت رقم ٥١٩٨.
١٩- يوسف خاص حاجب (١٠١٧: قوتاد غوبيليك. مخطوطة.

❖ ❖ ❖